سؤالهم وما أوتيتم الخطاب عام فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم توتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءنا فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وتنزع ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالي ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القران في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القران وانضم اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في امره فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كسفا بكسر السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا كقوله * كنت منه ووالدي بريا * وانى وقيار بها لغريب * او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب ترقى في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك وعن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ

الى السماء

الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القران وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول سبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم الى المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى المختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له احوب قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما تقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا موفوري الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع اخر انهم يقرؤن ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم بالبعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم * لو ذات سوار لطمتني * وقول المتلمس * ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي * وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع

الكلام في فاعل البخل وفيه لا في البخل وكذلك الكلام في المثل في الذات لا في اللطم وكذلك في البيت الكلام في الذات والمباشرة في الفعل

المتلمس